شهادة

العنف الجهاديّ في القوقاز

روسيا بين مكافحة الإرهاب ومكافحة التمرّد

كولِن ب. كلارك (Colin P. Clarke)

CT-483
شهادةٌ أُدلِيَ بها أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب (House Foreign Affairs Committee)، واللجنة الفرعية المعنية بشؤون الإرهاب، وحظر الانتشار، والتجارة (Subcommittee on Terrorism, Nonproliferation, and Trade)، واللجنة الفرعية المعنية بشؤون أوروبا، والمنطقة الأوروبية الآسيوية، والتهديدات الناشئة (Subcommittee on Europe, Eurasia, and Emerging Threats)، بتاريخ 7 نوفمبر/تشرين الثاني، 2017.



للحصول على مزيدٍ من المعلومات حول هذا المنشور، الرجاء زيارة الموقع الإلكتروني:
www.rand.org/pubs/testimonies/CT483

الشهادات

تُسَجِّلُ شهادات مؤسسة RAND (RAND testimonies) الشهادة التي أدلى بها أو قَدَّمَها شركاء مؤسسة RAND إلى اللجان التشريعية الفيدرالية، أو التابعة للولايات، أو المحلية؛ واللجان والهيئات المُعَيَّنَة من قِبَل الحكومة؛ والهيئات الخاصة للاستعراض والرقابة.

تمّ نشر هذا البحث بواسطة مؤسسة RAND، سانتا مونيكا، كاليفورنيا

www.rand.org

"العنف الجهاديّ في القوقاز: روسيا بين مكافحة الإرهاب ومكافحة التمرد"
(Jihadist Violence in the Caucasus: Russia Between Counterterrorism and Counterinsurgency)

شهادة كولِن كلارك (Colin Clarke)[1]
مؤسسة RAND[2]

أمام لجنة الشؤون الخارجية (Committee on Foreign Affairs)
اللجنة الفرعية المعنية بشؤون الإرهاب، وحظر الانتشار، والتجارة
(Subcommittee on Terrorism, Nonproliferation, and Trade)
اللجنة الفرعية المعنية بشؤون أوروبا، والمنطقة الأوروبية الآسيوية، والتهديدات الناشئة
(Subcommittee on Europe, Eurasia, and Emerging Threats)
مجلس نواب الولايات المتحدة
(United States House of Representatives)

7 نوفمبر/تشرين الثاني، 2017

كما هو الحال في الولايات المتحدة، فلقد عانت روسيا على يد المقاتلين الإسلاميين. ولكنْ، مع أنّ الأيديولوجيا التي تحفز أعداءنا مماثلة، فإنّ الولايات المتحدة وروسيا، على المدى الطويل، لديهما أغراضٌ مختلفةٌ بشكلٍ حاد. تسعى الولايات المتحدة إلى هزيمة الدولة الإسلامية في العراق وسوريا (ISIS)، وإنهاء الحرب في سوريا، وتحقيق الاستقرار في بلدان محيط منظمة حلف شمال الأطلسيّ (الناتو) (NATO). في هذه الأثناء، تسعى روسيا للتلويح بالقوة في الشرق الأوسط، وإعادة بناء مجال من نفوذها السابق على طول حدود منظمة حلف شمال الأطلسيّ (الناتو)، وإذكاء انعدام الاستقرار في الدول المؤيدة للغرب، وإبقاء الولايات المتحدة عالقةً في صراعاتٍ مستمرةٍ من أجل إنهاك الموارد والمعنويات الأمريكية. إنّ غزو روسيا لجورجيا، وضم شبه جزيرة القِرم، والتدخل في سوريا، بالإضافة إلى الجهود الأخيرة لمساعدة طالبان، هي إثباتٌ لوجود هذه الأغراض.[3]

في الفترة التي أعقبت مباشرةً عمليات 11 سبتمبر/أيلول الإرهابية عام 2001، كان إعلان روسيا عن تعاونها مع أمريكا في مكافحة الإرهاب من أجل اجتثاث تنظيم القاعدة مُدَوِّياً. ففي النهاية، إنّ روسيا قد عالجت حصتها من الهجمات التي شنّها

[1] إنّ الآراء والخلاصات المُعَبَّر عنها في هذه الشهادة تخص المؤلف وحده، ويجب ألّا تُؤَوَّل على أنها تمثل آراء وخلاصات مؤسسة RAND أو أيٍّ من رعاة أبحاثها.

[2] مؤسسة RAND هي منظمةٌ بحثية تعمل على تطوير حلولٍ لتحدّيات السياسات العامة وللمساعدة في جعل المجتمعات في أنحاء العالم أكثر أمناً وأماناً، وأكثر صحةً وازدهاراً. مؤسسة RAND هي مؤسسةٌ غير ربحية، حيادية، وملتزمةٌ بالصالح العامّ.

[3] نيك باتون وولش ومحمود بوبالزاي (Nick Paton Walsh and Mamoud Popalzai)، "مقاطع فيديو تشير إلى أنّ الحكومة الروسية قد تكون ماضيةً في تسليح طالبان" (Videos Suggest Russian Government May be Arming Taliban)، سي أن أن *(CNN)*، 26 يوليو/تموز، 2017.

المقاتلون الإسلاميون، وهي قد قامت بمكافحة التمرد في أنحاء القوقاز ضد شبكةٍ مُراوِغَةٍ من المقاتلين. على مدى الأعوام، كانت الهجمات ضد روسيا تُشَنُّ غالباً من قِبَل مجموعاتٍ سُنّيّةٍ محليةٍ تتصف بمستوياتٍ مختلفةٍ من الحماس الدينيّ، فمن أولئك الذين يركزون بشكلٍ أكبر على الاهتمامات العِرقية–القومية، إلى أولئك المصممين على نشر قانون الشريعة في أنحاء القوقاز. لقد تخللت الحملة الجهادية من العنف المُطَوَّل المنطقة، وهي لم تشمل الهجمات في قلب روسيا فحسب، وإنما أيضاً أفعالاً تمرديةً تقليديةً بدرجةٍ أكبر في أنحاء داغستان (Dagestan)، وإنغوشِتيا (Ingushetia)، ومناطقَ أخرى في أنحاء جنوب روسيا.

قبل أن تستجلب روسيا غضب الجهاديين السلفيين بسبب تدخلها في سوريا بزمنٍ طويل، كانت التمردات الجياشة منذ وقتٍ طويلٍ على الأرض الروسية تُقابَلُ بعملياتٍ من نوع القبضة الحديدية لمكافحة التمرد. لقد شَنَّ الروس حملةً عسكريةً بلا رحمةٍ ضد خليطٍ من المقاتلين السُّنّة من إنغوشِتيا (Ingushetia) إلى أوسيتيا (Ossetia) في القوقاز.[4] وبينما كانت استراتيجية روسيا في مكافحة التمرد ومكافحة الإرهاب فعالةً نسبياً على المدى القصير، فإنّ التكتيكات الشديدة القسوة التي استخدمَتها القوات الروسية قد تؤدي إلى نتائجَ عكسيةٍ على المدى الطويل، إذ تُنَفِّر شرائحَ كبيرةً من السكان، وتُضيف إلى المظالم الكبيرة التي تَصلُح للاستغلال من قِبَل الجهاديين السلفيين.

سوف أسلّط الضوء خلال شهادتي على المجالات التالية:

- أولاً، تاريخ روسيا الحديث مع الإرهاب الجهاديّ الذي يعود تاريخه إلى نهاية الحرب الباردة (Cold War) وغاراتها على الشيشان
- ثانياً، تكتيكات روسيا واستراتيجيتها في مكافحة التمرد ومكافحة الإرهاب في القوقاز
- ثالثاً، ردة الفعل العنيفة المحتملة على غارة روسيا على سوريا وحملتها العسكرية هناك
- رابعاً، ما الذي قد يحمله المستقبل لروسيا الآن وقد انهارت خلافة الدولة الإسلامية في العراق وسوريا (ISIS)، مع احتمال ترك الآلاف من المقاتلين الأجانب الروس أو الناطقين بالروسية ساحة القتال في الشرق الأوسط، ربما باتجاه وجهاتٍ جديدةٍ تشمل روسيا أو بلداناً على حدودها.

سوف أختم بتداعيات الصراع الروسيّ مع الإرهاب الجهاديّ على الولايات المتحدة، وبالتحديد من جهة المجالات المحتملة للتعاون.

التاريخ الروسيّ الحديث مع الإرهاب الجهاديّ

تعود مشكلة روسيا الحديثة مع القتال الإسلاميّ ضمن ميليشيات إلى الغزو السوفييتيّ لأفغانستان عام 1979. لقد عَصَفَت الحرب الأهلية والصراعات في أنحاء الاتحاد السوفييتي السابق، فشَمَلَت مناطقَ مثل الشيشان، بالإضافة إلى طول الجانب الجنوبيّ لروسيا، وقد أجَّجَت العديد منها مجموعاتٌ مُقاتِلَةٌ تستلهم من الدين، وهي ناشطةٌ في أنحاء القوقاز وآسيا الوسطى. خاضت روسيا حربَين دمويّتَين في الشيشان. دامت الأولى من عام 1994 إلى عام 1996، بينما عادت حرب الشيشان الثانية (Second Chechen War) إلى الاشتعال عام 1999 ودامت بشكلٍ متقطعٍ لعقدٍ كامل. خلال التسعينيات من القرن العشرين، تَبَنَّت مجموعاتٌ متمردةٌ كثيرةٌ معاديةٌ لروسيا أيديولوجياتٍ دينية بشكل أكبر. يَنسُبُ العديد من العلماء هذا التحول إلى النفوذ المتنامي للمقاتلين الأجانب الآتين من الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، ويشمل ذلك كتيبة ابن الخَطَّاب.[5]

لقد شَنّ المقاتلون الإسلاميون العديد من الهجمات العالية المستوى على الأرض الروسية حتى خارج ساحات القتال في القوقاز، شملت هجماتٍ تستهدف البنية التحتية للنقل بالتحديد — تفجيراتٌ انتحاريةٌ في قطار موسكو عامَي 2004 و2010، بينما ضرب انفجارٌ خط سكة الحديد لخط موسكو–سانت بيترسبورغ (Moscow–St. Petersburg) السريع عام 2007 حيث

---

[4] ستيفن ج. بلانك (Stephen J. Blank)، "التمرد النابع من الداخل في روسيا: الجهاد في شمال القوقاز" *(Russia's Homegrown Insurgency: Jihad in the North Caucasus)*، كارلايل بارّاكس (Carlisle Barracks)، بنسيلفانيا: معهد الدراسات الاستراتيجية التابع للكلية الحربية للجيش الأمريكيّ (U.S. Army War College Strategic Studies Institute)، 24 أكتوبر/تشرين الأول، 2012.

[5] ليا فارال (Leah Farrall)، "كيف يعمل تنظيم القاعدة" (How Al Qaeda Works)، فورِن أفيرز *(Foreign Affairs)*، مارس/آذار وأبريل/نيسان 2011.

أخرج الانفجار القطار عن مساره، وهجماتٍ انتحاريةٍ على مطار دوموديدوفو (Domodedovo) عام 2011، وعلى حافلةٍ في فولغوغراد (Volgograd) عام 2013.[6] لقد نَفَّذَ المقاتلون أيضاً هجماتٍ مدهشة — عملياتٌ مُخَطَّطٌ لها بدقةٍ قد صُمِّمَت لقتل المدنيين بالتحديد ونشر الرعب في أوساط السكان — مثل أزمة الرهائن في مسرح موسكو عام 2002 وحصار مدرسة بيسلان (Beslan) عام 2004.

في تاريخٍ أقرب هو أبريل/نيسان من هذا العام، مزقت انفجاراتٌ نفقاً بين محطتَي سِنّايا بلوشتشاد (Sennaya Ploshchad) وتكنولوجيتشسكي إنستيتوت (Tekhnologichesky Institut) في نظام قطار الأنفاق في سانت بيترسبورغ، فقتلت عشرة أشخاصٍ على الأقل.[7] تم التعرف لاحقاً إلى هوية المهاجم، وهو أكبرزون جليلوف (Akbarzhon Jalilov) من العِرقية الأوزبكية في قرغيزستان (Kyrgyzstan).[8] لقد تعرضت روسيا أيضاً لهجمةٍ خارج أراضيها كما دل عليه تفجير طائرة متروجت (Metrojet) أثناء الرحلة رقم 9268 من قِبَل مجموعةٍ تابعةٍ للدولة الإسلامية في العراق وسوريا (ISIS) بعد إقلاع الطائرة من شرم الشيخ قاصدةً سانت بيترسبورغ في أكتوبر/تشرين الأول 2015.[9] تُوُفِّيَ في هذه الهجمة جميع مَن كان على متن الطائرة وعددهم 224 شخصاً، ومعظمهم من المواطنين الروس.

المكافحة الروسية للإرهاب والتمرد

أثناء حرب الشيشان الأولى (First Chechen War) بين عامَي 1994 و1996، اتبع الجيش الروسيّ سياسات الأرض المحروقة التي عَنَت تدمير كل ما يقع في مرمى النظر.[10] كانت غروزني (Grozny)، عاصمة الشيشان، محاصَرَةً بالكامل من قِبَل المدفعية الروسية والقصف العشوائيّ. لقد استخدمت الاستراتيجية الروسية في مكافحة التمرد في القوقاز في أحيانٍ كثيرةٍ ما تُطلَق عليه تسمية زاشيستكاس (*zachistkas*)، أو عمليات التطهير المُصَمَّمَة لقتل أو أسر الإرهابيين ومناصريهم، مع أنّ مِن بين مَن تعتقلهم عمليات المسح في كثيرٍ من الأحيان أشخاصٌ من غير المقاتلين.[11] شَمَلَت تكتيكاتٌ أخرى الاختفاءات القسرية؛ والعقاب الجماعيّ؛ واستهداف عائلات وأصدقاء وجيران مَن يُشَكّ بكونهم متمردين. على الرغم من الاتهامات الواسعة النطاق بانتهاكاتٍ لحقوق الإنسان خلال مسار عمليات مكافحة الإرهاب، تسعى الدعاية الروسية إلى صنع صورةٍ للدولة الروسية تُظهِرها بمظهر الحامي للشعب. يدمج الرئيس الروسيّ فلاديمير بوتين (Vladimir Putin) بانتظامٍ المتمردين المعادين لروسيا بالحركة الجهادية العالمية، مع أنّ بعضهم ليست له صِلاتٌ حقيقيةٌ بها، أما بالنسبة للآخرين، فالصِّلات ضعيفةٌ في أحسن الأحوال.

بينما يمكن اعتبار المقاربة الروسية الاستبدادية في مكافحة التمرد فعالةً في إخماد الصراع المتدنّي الحدة، فإنّ أساليبها

[6] لوك هاردينغ وتوم بارفيت (Luke Harding and Tom Parfitt)، "تفجيرٌ مميتٌ يضرب مطار دوموديدوفو" (Domodedovo Airport Hit By Deadly Bombing)، ذا غارديان *(The Guardian)*، 24 يناير/كانون الثاني، 2011.

[7] كولن ب. كلارك (Colin P. Clarke)، "كيف أصبحت روسيا الهدف رقم 1 للجهاديين" (How Russia Became the Jihadists' No. 1 Target)، بوليتيكو *(Politico)*، 3 أبريل/نيسان، 2017.

[8] سايبم سعيد (Saim Saeed)، "مقتل عشرةٍ على الأقل في تفجيرات قطار الأنفاق في سانت بيترسبورغ" (At Least 10 Killed in St. Petersburg Metro Blasts)، بوليتيكو *(Politico)*، 3 أبريل/نيسان، 2017؛ إيفان نيتشيبورنكو ونيل ماك فاركوهار (Ivan Nechepurenko and Neil MacFarquhar)، "انفجارٌ في سانت بيترسبورغ، روسيا، يقتل 11 شخصاً لدى زيارة فلاديمير بوتين" (Explosion in St. Petersburg, Russia, Kills 11 as Vladimir Putin Visits)، نيويورك تايمز *(New York Times)*، 3 أبريل/نيسان، 2017؛ و"تفجير قطار الأنفاق في سانت بيترسبورغ، تفجيرٌ انتحاريٌّ محتمل" (St. Petersburg Metro Bombing a Possible Suicide Attack)، أخبار هيئة الإذاعة البريطانية (بي. بي. سي. نيوز) *(BBC News)*، 4 أبريل/نيسان، 2017.

[9] جوزيف كراوس (Joseph Krauss)، "الدولة الإسلامية تنشر صورة القنبلة التي تقول إنها أسقطت الطائرة الروسية، وتدعي إقدامها على قتل رهينتَين" (Islamic State Releases Photo of Bomb It says Downed Russian Jet, Claims Killing of 2 Hostages)، يو أس نيوز أند وورلد ريبورت *(U.S. News & World Report)*، 19 نوفمبر/تشرين الثاني 2015.

[10] مارك كرايمر (Mark Kramer)، "مخاطر مكافحة التمرد: حرب روسيا في الشيشان" (The Perils of Counterinsurgency: Russia's War in Chechnya)، إنترناشونال سيكيوريتي *(International Security)*، مجلد رقم 29، عدد رقم 3، شتاء 2004/2005، ص. 5–63؛ راجِع أيضاً: كريستوفر بول، كولِن ب. كلارك، وبث غريل (Christopher Paul, Colin P. Clarke, and Beth Grill)، "النصر له ألف أب: دراسات حالاتٍ مفصَّلةٍ لمكافحة التمرد" *(Victory Has a Thousand Fathers: Detailed Counterinsurgency Case Studies)*، سانتا مونيكا، كاليفورنيا، مؤسسة RAND، MG–964/1–OSD، 2010، ص. 253–263.

[11] برايان غلين ويليامز (Brian Glynn Williams)، "الجحيم في الشيشان: حروب روسيا–الشيشان، وأسطورة تنظيم القاعدة، وتفجيرات ماراثون بوسطن" *(Inferno in Chechnya: The Russian-Chechen Wars, the Al Qaeda Myth, and the Boston Marathon Bombings)*، ليبانون، نيو هامبشر: فوردج (Foredge)، 2015، ص. 183.

وحشية.[12] تتسم هذه المقاربة العنيفة بقصر النظر — إنها تُبَدّي الاستقرار على المدى الأبعد على الأمن على المدى القريب — إذ أصيب السكان المحليون في مساحاتٍ شاسعةٍ من القوقاز بالصدمة من عمليات القتل خارج نطاق القانون، والتعذيب، والاغتيالات الواسعة النطاق.[13] تمشياً مع رفض روسيا الظاهر حتى لمحاولة "كسب القلوب والعقول"، فإنّ المظالم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي لدى المتمردين قد أُهمِلَت إلى حدٍّ كبير، مما يضمن عملياً قيام أجيالٍ مستقبليةٍ من المقاتلين بلبس عباءة الجهاد. كان تركيز روسيا حركياً بشكلٍ كبير، مع ما عَمَدَ إليه الجيش من استراتيجيةٍ في القضاء على الرؤوس، لإزالة القادة العسكريين المتتالين من ذوي الرتبة العليا من المتمردين على مر الأعوام.[14]

لقد كانت روسيا في حربٍ مع مجموعاتٍ محليةٍ مختلفةٍ من المقاتلين لأعوام، ولكنّ حالة العنف السياسيّ في القوقاز قد تغيرت بطرقٍ مهمةٍ على مدى العقدَين الماضيَين. لقد نصّب فلاديمير بوتين، من أجل حكم الشيشان، الرجل القويّ رمضان قديروف (Ramzan Kadyrov)، الذي قلَّلَت استمالته للمقاتلين السابقين من العنف في المنطقة.[15] بدوره، تَحَوَّلَ مركز ثقل التمرد من الشيشان إلى داغستان، حيث تبسط ولاية القوقاز التابعة للدولة الإسلامية في العراق وسوريا (ISIS) نفوذها على هذَين الإقليمَين بالإضافة إلى أقاليم أخرى مجاورة — كاباردا (Kabarda)، وبالكاريا (Balkaria)، وكاراتشاي (Karachay) — بينما تتشبث إمارة القوقاز التابعة لتنظيم القاعدة بمنطقتها في شركيسيا (Cherkessia) وسُهْب نوغاي (Nogay Steppe).[16]

في الفترة التي سبقت الألعاب الأولمبية الشتوية في عام 2014 في سوتشي (Sochi)، شجعت السلطات الروسية المقاتلين السُّنَّة على المغادرة نحو سوريا لشنّ عمليات جهادية.[17] كانت العملية الفكرية التي تكمن وراء هذا التشجيع بسيطة، وإن تكن خفية — يغادر المقاتلون إلى سوريا، ويقوم الرجال الأشداء الذين يقومون بمراقبة الحدود الروسية — أو القوى الجوية الروسية — بضمان ألّا يعودوا أبداً.[18] على الرغم من هذا التشجيع، عَبَّرَ بوتين عن تخوّفٍ بشأن إمكانية عودة الجهاديين من سوريا، مشيرًا إلى أنّ هؤلاء المقاتلين لن "يتبخروا في الهواء" ببساطة.[19] إضافةً إلى ذلك، تتجنب مقاربة روسيا في مكافحة التمرد معالجة المظالم، فتعتمد عوضاً عن ذلك بشكلٍ شبه حصريٍّ على القوة العسكرية.[20] هذا يعني أنّ الأسباب الجذرية للعنف السياسيّ تظل مُتَجاهَلَةً إلى حدٍّ كبير، مما يسمح للأيديولوجيا التي تغذّي المقاتلين السلفيين بالتقيّح إلى ما لا نهاية.

---

[12] دانيال بايمن (Daniel Bayman)، "الموت يحل كل المشاكل: صندوق أدوات المكافحة الاستبدادية للتمرد" (Death Solves All Problems: The Authoritarian Counterinsurgency Tool Kit)، وور أون ذا روكس *(War on the Rocks)*، 3 فبراير/شباط، 2016؛ راجِع أيضاً: توماس إي. ريكس (Thomas E. Ricks)، "مكافحة التمرد: المقاربة الروسية الوحشية لكن الفعالة" (Counterinsurgency: The Brutal But Effective Russian Approach)، فورِن بوليسي *(Foreign Policy)*، 17 سبتمبر/أيلول، 2009.

[13] كولِن ب. كلارك (Colin P. Clarke)، "الهجمات على روسيا لن تعرف إلا التزايد" (Attacks on Russia Will Only Increase)، ذي أتلانتيك *(The Atlantic)*، 4 أبريل/نيسان، 2017.

[14] المجموعة الدولية للأزمات (International Crisis Group)، "تمرد شمال القوقاز وسوريا: جهادٌ قد تم تصديره؟" (The North Caucasus Insurgency and Syria: An Exported Jihad?)، 16 مارس/آذار، 2016. من بين بعض هؤلاء القادة دزوخار دوداييف (Dzokhar Dudaev) (1996)، زليمخان يادربييف (Zelimkhan Yaderbiyev) (1997)، أصلان مسخادوف (Aslan Maskhadov) (2005)، عبد الحليم سادولاييف (Abdul-Halim Sadulayev) (2006)، ودوكو عُمَروف (Doku Umarov) (2013).

[15] ديريك هنري فلود (Derek Henry Flood)، "الدولة الإسلامية ترفع رايتها السوداء فوق القوقاز" (The Islamic State Raises Its Black Flag Over the Caucasus)، سي تي سي سِنتينِل *(CTC Sentinel)*، 29 يونيو/حزيران، 2015.

[16] ديفيد م. هرزنهورن وأندرو روث (David M. Herszenhorn and Andrew Roth)، "البحث عن المنزل قاد المُشتَبَه به إلى أرضٍ أفسدها الصراع" (Search for Home Led Suspect to Land Marred by Strife)، نيويورك تايمز *(New York Times)*، 21 أبريل/نيسان، 2013؛ راجِع أيضاً: ديريك هنري فلود (Derek Henry Flood)، "إمارة القوقاز: من الجذور المضادة للاستعمار إلى السلفية الجهادية" (The Caucasus Emirate: From Anti-Colonial Roots to Salafi-Jihad)، سي تي سي سِنتينِل *(CTC Sentinel)*، 26 مارس/آذار، 2014؛ وهارلين غامبهِر (Harleen Gambhir)، "الدولة الإسلامية في العراق وسوريا تعلن عن ولاية في منطقة شمال القوقاز الروسيّ" (ISIS Declares Governorate in Russia's North Caucasus Region)، معهد دراسة الحرب (Institute for the Study of War)، 23 يونيو/حزيران، 2015.

[17] ماريا تسفِتكوفا (Maria Tsvetkova)، "كيف سمحت روسيا للراديكاليين النابعين من داخلها بالذهاب والقتال في سوريا" (How Russia Allowed Homegrown Radicals to Go and Fight in Syria)، رويترز *(Reuters)*، 13 مايو/أيار، 2016.

[18] مايكل وايس (Michael Weiss)، "لعبة روسيا المزدوجة مع الإرهاب الإسلاميّ" (Russia's Double Game with Islamic Terror)، ديلي بيست *(Daily Beast)*، 23 أغسطس/آب، 2015.

[19] فلود (Flood)، 2014.

[20] المجموعة الدولية للأزمات (International Crisis Group)، 2016.

ردة الفعل العنيفة المحتملة ضد الأفعال الروسية

لقد أدت الأفعال الروسية الأخيرة في الشرق الأوسط — ويشمل ذلك تدخّلها المتصاعد في سوريا وتحركاتها نحو التدخل في ليبيا، وذلك بنشرها مؤخراً لقواتٍ خاصةٍ في قاعدةٍ جويةٍ في مصر — إلى غضب المقاتلين السُّنّة حول العالَم.[21] يُنظَر إلى روسيا بشكلٍ متزايدٍ على أنها طليعة المصالح الشيعية.[22] لقد وفَّر بوتين مساعدةً عسكريةً كبيرةً للقائد السوريّ بشار الأسد، مما أدى إلى تحالف روسيا مع إيران الشيعية وحزب الله اللبنانيّ، العدوَين اللدودَين للجهاديين السُّنّة.

في مقطع فيديو للدولة الإسلامية في العراق وسوريا (ISIS) بعنوان "قريباً بل قريباً جداً سوف تسيل الدماء لتصبح كالمحيط"، يهدد أحد مقاتلي الدولة الإسلامية في العراق وسوريا بوتين بشكلٍ مباشر، ويذكر تدخل البلد في سوريا وتحالفه المتنامي مع الأسد وإيران وحزب الله اللبنانيّ كإثباتٍ على أنّ موسكو هي المناصر الرئيسيّ لمحورٍ شيعيٍّ متنامٍ في أنحاء الشرق الأوسط.[23] عملياً، يمكن أن يحاول الآلاف من المقاتلين الروس الأجانب العودة إلى ديارهم بعد استرداد الرَّقَّة، مما سيزيد الوضع سوءاً إلى حدٍّ دراميٍّ بالنسبة لموسكو.[24]

كانت روسيا إحدى القوات الأولية التي تساند نظام الأسد الذي استهدف خصومه بدون رحمة (ومعظمهم من السُّنّة) بالبراميل المتفجرة والأسلحة الكيميائية. إنّ روسيا وإيران تعمّقان أيضاً تحالفهما السياسيّ والعسكريّ، إذ يعمل جيش كلٍّ منهما مع الآخر لمساعدة الأسد على استرداد جيوب الأراضي من قوات المعارضة.[25] تقوم القوات الخاصة الروسية والطائرات الحربية الروسية بدور داعم لمقاتلي حزب الله الذين أدمَوا المقاتلين السُّنّة في المعارك.[26] إنّ رغبة موسكو في توسيع النفوذ الروسيّ في الشرق الأوسط نصبتها ضد السُّنّة ومصالحهم بشكلٍ مباشر. بالنسبة لروسيا، تبعث الديموغرافيات أيضاً على الرهبة. هناك الآلاف من المواطنين الروس يقاتلون مع الدولة الإسلامية في العراق وسوريا، و5,000 إلى 7,000 من الجهاديين الناطقين بالروسية، مما يجعل الروسية ثاني أكثر اللغات انتشاراً في التخاطب في أوساط الدولة الإسلامية في العراق وسوريا.[27] هذا يعني أنّ المجموعات الجهادية السُّنّية تملك قوةً جاهزةً من المواطنين قادرةً على العودة إلى الديار في روسيا، حيث يستطيع المقاتلون الاندماج بسهولةٍ أكبر مع السكان المحليين بينما يخططون لهجماتٍ إضافية.

---

[21] فيل ستيوارت، إدريس علي، ولين نويهض (Phil Stewart, Idrees Ali, and Lin Noueihed)، "يبدو أنّ روسيا تنشر قواتٍ في مصر، والأنظار تتجه إلى دور في ليبيا" (Russia Appears to Deploy Forces to Egypt, Eyes on Libya Role)، رويترز *(Reuters)*، 13 مارس/آذار، 2017.

[22] ليون آرون (Leon Aron)، "قدوم الجهاد الروسي: الجزء الثاني" (The Coming of the Russian Jihad: Part II)، وور أون ذا روكس *(War on the Rocks)*، 19 ديسمبر/كانون الأول، 2016b.

[23] سلمى عبد العزيز وآلِكس فلتون (Salma Abdelaziz and Alex Felton)، "الدولة الإسلامية في العراق وسوريا تهدد روسيا في مقطع فيديو جديد" (ISIS Threatens Russia in New Video)، سي أن أن *(CNN)*، 12 نوفمبر/تشرين الثاني، 2015؛ راجِع أيضاً: نيل ماك فاركوهار (Neil MacFarquhar)، "بالنسبة لروسيا، الروابط بين القوقاز والدولة الإسلامية في العراق وسوريا تثير القلق" (For Russia, Links Between Caucasus and ISIS Provoke Anxiety)، نيويورك تايمز *(New York Times)*، 20 نوفمبر/تشرين الثاني، 2015؛ آرون (Aron)، 2016b؛ وبرايان غلين ويليامز وروبرت سوزا (Brian Glyn Williams and Robert Souza)، "نتائج حملة روسيا في 'مكافحة الإرهاب'" (The Consequences of Russia's 'Counterterrorism' Campaign)، سي تي سي سِنتينِل *(CTC Sentinel)*، 30 نوفمبر/تشرين الثاني، 2016.

[24] ليون آرون (Leon Aron)، "قدوم الجهاد الروسي: الجزء الأول" (The Coming of the Russian Jihad: Part I)، وور أون ذا روكس *(War on the Rocks)*، 23 سبتمبر/أيلول، 2016a.

[25] محسن ميلاني (Mohsen Milani)، "التحالف غير المريح بين إيران وروسيا" (Iran and Russia's Uncomfortable Alliance)، فورِن أفيرز *(Foreign Affairs)*، 31 أغسطس/آب، 2016.

[26] جيسي روزنفِلد (Jesse Rosenfeld)، "روسيا تسلّح حزب الله، على حدّ قول اثنين من قادة المجموعة الميدانيين" (Russia is Arming Hezbollah, Say Two of the Group's Field Commanders)، دايلي بيست *(Daily Beast)*، 11 يناير/كانون الثاني، 2016.

[27] آرون (Aron)، 2016a.

الخلاصة: ما الذي قد يحمله المستقبل؟

إنّ تورط روسيا الذي يزداد عمقاً في سوريا يعني أنّ موسكو قد اختارت الانضمام إلى طرفٍ في صراعٍ مذهبيٍّ في الخارج بشكلٍ أساسيّ — وهي استراتيجيةٌ قد تؤدي إلى المأساة في الداخل. يقدّر تقريرٌ جديدٌ أصدرته مجموعة صوفان (Soufan Group) أنّ روسيا هي بالفعل أكبر مُصَدِّرٍ للمقاتلين الأجانب إلى الصراعات في العراق وسوريا، بما يزيد على 3,200 مقاتل.[28] لقد ارتقى العديد من مواطني الاتحاد السوفييتيّ السابق في الرتبة حتى أصبحوا قادةً ضمن مجموعاتٍ مُقاتِلَةٍ في سوريا، ومنهم طرخان باتيراشفيلي (Tarkhan Batirashvili)، وهو قد تُوُفّي، ويُعرَف بالاسم الأكثر شيوعاً وهو أبو عُمَر الشيشانيّ — "عُمَر الشيشانيّ" — وزير الحرب السابق في الدولة الإسلامية في العراق وسوريا (ISIS).[29]

إن أحد العوامل التي قد تلعب دوراً مهماً في مقياس ونطاق التهديد الذي يواجه روسيا في المستقبل هو الصراع على السيادة بين المجموعات الجهادية في القوقاز. إنّ المنافسة على المُجَنَّدين والموارد تحتدم بين الكيانَين الجهاديَين المهيمنَين، مما يعزز لامركزية التمرد.[30]

في السنوات الأخيرة، نَقَل العديد من الجهاديين ذوي الرتبة العليا ولاءهم من إمارة القوقاز إلى ولاية القوقاز.[31] إذ إنّ الدولة الإسلامية في العراق وسوريا في نظرهم هي أكثر القوات التي تعتنق النمط المتشدد من السلفية الشائعة بين الجهاديين شرعيةً، لاسيما في أوساط الجيل الأكثر شباباً. سوف يستمر الانقسام بين المجموعتَين بالظهور، وتَنتُجُ منه على الأرجح عملية مزايدة، تعتمد فيها المجموعات غير الحكومية العنيفة على شنّ هجماتٍ مدهشةٍ من أجل إقناع الأتباع المحتمَلين بأنّ تنظيمهم الإرهابيّ أو المتمرد يملك عزماً أقوى على قتال الخصم — في هذه الحالة، الدولة الروسية وخدمات الأمن.[32] لقد امتدت المنافسة إلى ساحة المعركة في سوريا، مما رفع سقف الرهان.

بالرغم من النتائج العَرَضية والمنافسة اللاحقة على المُجَنَّدين والموارد بين إمارة القوقاز المرتبطة بتنظيم القاعدة وولاية القوقاز المرتبطة بالدولة الإسلامية في العراق وسوريا، ثمة قضيةٌ تستبطن القدرة على توحيد هذه الفصائل السُّنّية المتناحرة وهي كرهٌ مشتركٌ للشيعة — وراعيهم الرئيسيّ، روسيا.[33]

مع كل النجاح الذي حققته روسيا في حملة مكافحة التمرد في الشيشان، تظل مكافحة الإرهاب أمراً مختلفاً. بينما قد تستتبع استراتيجيةٌ لمكافحة التمرد نشر أعدادٍ كبيرةٍ من الجنود الذين يستخدمون القوة الوحشية، فإنّ مكافحة الإرهاب هي بشكلٍ أساسيٍّ منهجٌ في إنفاذ القانون، تدفعه الاستخبارات. لقد أثبتت روسيا بأنها راغبةٌ باستخدام الأساليب الوحشية لهزيمة تمردٍ ما وقادرةٌ على ذلك، ولكنها لم تُثبِت بَعدُ امتلاكها للقدرات اللازمة لردع الهجمات الإرهابية على أرضها وتعطيلها، ويشمل ذلك الهجمات المدمِّرة على بنيتها التحتية للنقل.

في سعيها لتصبح أكثر حزماً جيوسياسياً عن طريق الاضطلاع بدورٍ أكثر عدوانيةً في الخارج، جَعَلَت روسيا نفسها أكثر ضعفاً أمام الإرهاب في الداخل. قد يرى المقاتلون السُّنّة الأفعال الروسية في الشرق الأوسط وأوروبا الشرقية ويستخلصون منها

---

[28] ريتشارد باريت (Richard Barrett)، "ما بعد الخلافة: المقاتلون الأجانب وتهديد العائدين" (Beyond the Caliphate: Foreign Fighters and the Threat of Returnees)، مجموعة صوفان *(Soufan Group)*، 24 أكتوبر/تشرين الأول، 2017؛ راجِع أيضاً: جاك مور (Jack Moore)، "روسيا تتفوق على المملكة العربية السعودية وتونس بأنها أكبر مُصَدِّرٍ لمقاتلي الدولة الإسلامية في العراق وسوريا" (Russia Overtakes Saudi Arabia and Tunisia as Largest Exporter of ISIS Fighters)، نيوزويك *(Newsweek)*، 24 أكتوبر/تشرين الأول، 2017.

[29] إريك شميت ومايكل س. شميت (Eric Schmitt & Michael S. Schmidt)، "عُمَر الشيشانيّ، قائدٌ أول في الدولة الإسلامية في العراق وسوريا، يموت على أثر ضربةٍ جويةٍ أمريكية" (Omar the Chechen, a Senior Leader in ISIS, Dies After U.S. Airstrike)، نيويورك تايمز *(New York Times)*، 15 مارس/آذار، 2016.

[30] أندرو س. بُوِون (Andrew S. Bowen)، "الدولة الإسلامية في العراق وسوريا تأتي إلى روسيا" (ISIS Comes to Russia)، دايلي بيست *(Daily Beast)*، 10 يوليو/تموز، 2015.

[31] بُوِون (Bowen)، 2015.

[32] أندرو هـ. كيد وباربارا ف. وولتر (Andrew H. Kydd and Barbara F. Walter)، "استراتيجيات الإرهاب" (The Strategies of Terrorism)، إنترناشونال سيكيوريتي *(International Security)*، مجلد رقم 31، عدد رقم 1، صيف 2006، ص. 49–80.

[33] ويليام ماك كانتس (William McCants)، "التأثير الاستقطابيّ لعدوان الدولة الإسلامية على الحركة الجهادية العالمية" (The Polarizing Effect of Islamic State Aggression on the Global Jihadist Movement)، سي تي سي سِنتينِل *(CTC Sentinel)*، 27 يوليو/تموز، 2016؛ راجِع أيضاً: ييكاتيرينا سوكيريانسكايا (Ekaterina Sokirianskaia)، "تمرد شمال القوقاز الروسيّ يتوسع مع تثبيت موطئ قدم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا" (Russia's North Caucasus Insurgency Widens as ISIS' Foothold Grows)، وورلد بوليتيكس ريفيو *(World Politics Review)*، 12 أبريل/نيسان، 2016.

أنّ وقت توجيه الضربة قد حان، في الوقت الذي يظهر فيه أنّ موسكو غافلة. قد تكون الدولة الإسلامية في العراق وسوريا وغيرها من الجهاديين تحضّر لنقل المعركة إلى مدن روسيا الكبرى في محاولةٍ لإثبات شأنها، بينما تسعى للوفاء بالوعود المتكررة لجَعل بوتين ومَن حوله يدفعون ثمن النكبات التي أحدثوها في أراضي المسلمين. مع ذلك، قد يرى بوتين أنّ تهديد القتال السُّنّيّ ضمن ميليشياتٍ في الداخل هو المفاضلة التي لا سبيل إلى تجنبها لاستعادة الهيمنة الروسية في مجال نفوذها السابق، وإعادة البلد إلى ما يرى أنه مكانته الصحيحة بوصفها قوةً عالميةً حقيقية.

إنّ أيّ محاولاتٍ روسية لمقارنة الحملة الروسية ضد الجهاديين بحرب أمريكا ضد الإرهاب لن تكون دقيقة. إنّ روسيا لم تكن يوماً شريكاً مكافئاً في المعركة ضد التطرف الإسلاميّ — وإنّ خدماتها العسكرية والاستخباراتية ليس لديها إلا القليل لتقدمه. كذلك فقد فاقمت روسيا عدداً كبيراً من المرات المشكلة العالمية من خلال أعمال الرَّد الوحشية ورد القبضة الحديدية ضد المجتمعات الإسلامية ضمن حدودها. ووفقاً لذلك، يجب ألا ترى الولايات المتحدة في روسيا شريكاً قابلاً للحياة في مكافحة الإرهاب حالياً. إنّ أيّ جهدٍ للتعاون في هذا المجال ينبغي أن يكون متعقّلاً ومدروساً، وأن يُعامَلَ بالدرجة المطلوبة من الارتياب الذي يستحقه.



www.rand.org

Arabic Translation
"Jihadist Violence in the Caucasus"
CT-483/1